شرح حصن المسلم (١٢)

قال المصنف رحمه الله:

٣٠ – ((اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيْكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

نص الحديث: عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

(**اللهُمَّ**) بمعنى: يا الله، والميم المشددة عوض من: يــا (**رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ**)

قال ابن القيم: فتوسّل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة: فجبريل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكّل بالقَطْر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصّور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[2].

لماذا خَصَّ هؤلاء الملائكة بالذكر مع أنَّ اللَّه تَعَالَى هو رَبُّ كُلِّ الْمَخْلُوقات؟

قال النووي: قال الْعُلَمَاءُ: خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى رَبَّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ؛ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ نَظَائِرِهِ مِنَ الْإِضَافَةِ إِلَى كُلِّ عَظِيمِ الْمَرْتَبَةِ وَكَبِيرِ الشَّأْنِ، دُونَ مَا يُسْتَحْقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ؛ فَيُقَالُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ،

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) ٢٠٠ - (٧٧٠)، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ط عالم الفوائد (٢/ ٨٤٤).

وَرَبَّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، رَبَّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبَّ الْمَغْرِبَيْنِ، رَبَّ النَّاسِ، مَالِكَ النَّاسِ، إِلَهَ النَّاسِ، رَبَّ الْعَالَمِينَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، رَبَّ النَّبِيِّينَ، خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، جَاعِلَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، فَكُلُّ ذَلِكَ وَشَبَهُهُ وَصْفٌ لَهُ سُبْحَانَهُ بِدَلَائِلِ الْعَظَمَةِ، وَعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ، وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ ذَلِكَ فِيمَا يُحْتَقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ، فَلَا يُقَالُ رَبَّ الْحَشَرَاتِ وَخَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَشِبْهَ ذَلِكَ عَلَى الْإِفْرَادِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ خَالِقَ الْمَخْلُوقَاتِ وَخَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَحِينَئِذٍ تَدْخُلُ هَذِهِ فِي الْعُمُومِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١].

(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: مبدعهما وخالقهما عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابق.

(عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي: ما غاب عن العباد وما شاهدوه.

(أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) يوم القيامة بِالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ (فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أَيْ: مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا [٢].

(اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ) أي: وفقني إلى الحق الذي اختُلف فيه وثبتني عليه، وهذا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، (بِإِذْنِكَ) أي: بتيسيرك وفضلك ومنتك.

(إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إنك تُرشد من تشاء من خلقك بتوفيقك فتهديه إلى "طريق الحقّ الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، وسُمّي صراطًا؛ لأنه موصلٌ للمقصود كما أن الطريق الحسيّ كذلك، والجملة تعليل لطلب الهداية منه –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–؛ أي: لأنك تهدي من تشاء. . . إلخ " [٣].

* * * * *

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٦).

(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ٨٥).

قال المصنف رحمه الله:

٣١ – ((اللَّهُ أكْبَرُ كَبيراً، اللَّهُ أكْبَرُ كَبيراً، اللَّهُ أكْبَرُ كَبيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيراً، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وأَصيلاً)) ثَلاثاً ((أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ: مِنْ نَفْخِهِ، ونَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ)).

نص الحديث:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: **اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ» [(١)].

وعَنِ ابْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةً – قَالَ عَمْرٌو [(٢)]: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ – فَقَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ**»، قَالَ: نَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ [(٣)].

(**اللَّهُ أكْبَرُ كَبيرًا**) أَيْ كَبَّرْتُ كَبِيرًا، أي: أُعظِّم الله وأجله بعبادته وتوحيده وتقديسه. ويجوز أن يكون حالاً مؤكدة، أو مصدرًا بتقدير تكبيرًا كبيرًا.

(**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثيرًا**) أي: أحمده حمدًا كثيرًا؛ يليق بجلاله وجماله، فله الحمد في الأولى والآخرة.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٢٠) برقم ١٥٠ -(٦٠١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

(٢) عَمْرو بْنِ مُرَّةَ؛ أحد رواة الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود، ١/ ٢٠٣، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، ١/ ٢٦٥، برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٤/ ٨٥، برقم ١٦٧٣٩، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ((حسن لغيره))، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: ((وهو حديث صحيح بشواهده))، وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بنحوه، وفيه قصة، ١/ ٤٢٠، برقم ٦٠١. [تحقيق المؤلف].

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيه الله عما لا يليق به من كل سوء ونقص.

(بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أي: في أول النهار وآخره.

وقال الطِّيبي: خُصَّا بالذكر لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما. وأقول: الأظهر أن يقال: يراد بهما الدوام، كما في قوله تعالي: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[1]، أراد دوام الرزق وروده [2].

(أَعُوذُ بِاللَّهِ) ألجأ إليه وأتحصن به. (مِنَ الشَّيْطَانِ) قال ابن كثير: وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، ......[قال تعالى] {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[3]...... والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ [4].

(مِنْ نَفْخِهِ) فسرها الراوي بالكبر؛ فقال: (وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ) وَإِنَّمَا فُسِّرَ النَّفْخُ بِالْكِبْرِ لِأَنَّ المتكبر يتعاظم لاسيما إذَا مُدِحَ. قال الطيبي: النفخ كناية عن الكبر، كَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُخُ بِالْوَسْوَسَةِ ، فَيُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِهِ ، وَيُحَقِّرُ النَّاسَ عِنْدَهُ [5].

---

(١) [مريم: ٦٢].

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٣).

(٣) [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١١٤ : ١١٥).

(٥) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٤).

(وَنَفْثِه) والنفث في اللغة: قذف الريق وهو أقل من التفل. وفسره الراوي بالشعر؛ قال (نَفْثُهُ الشِّعْرُ): والمقصود به الشعر المذموم؛ وهو إشارة إلى ذم من يهيم في أودية الشعر، فتارة يمدح، وتارة يقدح، وتارة يمرح، وأخرى يتغزل، وهذا من تلاعب الشياطين.

قال ابن الجوزي: وَإِنَّمَا سُمِّيَ نفثًا: لِأَن الْإِنْسَان ينفثه من فِيهِ، وأُضِيفَ إِلَى الشَّيْطَان لقلَّةِ الصَّوَاب فِيهِ [1].

(وَهَمْزِه) فسرها الراوي بالْمُوتَة؛ فقال: (وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ) والمراد بها هنا الجنون.

قال أبو عبيد: فالموتة الْجُنُون، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ همزًا، لِأَنَّهُ جعله من النخس والغمز، وكل شَيْء دَفعته، فقد همزته [2].

قال الطيبي: (الْمُوتَةُ) .... ضرب من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه كمال عقله كالنائم والسكران ..... قال: إن كان هذا التفسير من متين الحديث فلا معدل عنه، وإن كان من بعض الرواة فالأنسب أن يُرادَ بالنفث السحر؛ فإنه أشبه لقوله تعالي: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} وأن يُراد بالهمز الوسوسة، لقوله تعالي: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ}. وهمزات الشياطين خطراتها، ... وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها [3].

* * * * *

(١) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٢٢).

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٧٨).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٤).

قال المصنف رحمه الله:

٣٢ - ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ] [وَلَكَ الْحَمْدُ] [أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ] [اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ] [وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي] [أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ] [أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ] [وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ]))(١).

نص الحديث: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - " قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ: سَمِعَهُ مِنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

(أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) (أي: منوّرهما، وبك يَهتدي من فيهما، وقال القرطبيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي: منوّرهما في قول الحسن، دليله قراءة عليّ -رضي اللَّه عنه-: "اللَّه نَوّرَ

(١) البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد من الليل، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصراً بنحوه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٣٢، برقم ٧٦٩. [تخريج المؤلف].

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٤٨) برقم ١١٢٠، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}.

السموات" بفتح النون، والواو مشدّدة، وقال ابن عباس –رضي اللَّه عنهما–: هادي أهلهما، وقال مجاهد: مُدبّرهما، وقيل: المعنى أنت المنزّه [في السموات والأرض] عن كل عيب، يقال: فلان مُنَوَّر؛ أي: مبرّأ من كل عيب، ويقال: هو اسمُ مَدْحٍ، تقول: فلان شمس الزمان، ونُورُ البلد؛ أي: مزيّنه، كما قال النابغة [من الطويل]:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقال آخر [من الطويل]:

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ فِي مَرْوَ لَيْلَةً ... فَقَدْ سَارَ فِيهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا

وقال أبو العالية: مُزَيِّن السموات بالشمس، والقمر، والنجوم، ومزيّن الأرض بالأنبياء، والأولياء، والعلماء. انتهى [(١)].

قال السعدي: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه –الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه– نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا: كل محل، يفقد نوره فثم الظلمة والحصر [(٢)].

(أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: الدائمُ القيامِ بتدبيرهنَّ، وتدبيرِ ما فيهنَّ، وحفظِ ذلك، يقال فيه: قَيِّم وقَيّام وقَيُّوم [(٣)]. قال ابن الملقن: أي: أنت القائم على كل نفس بما كسبت وخالقها ورازقها ومميتها ومحييها. وقيل في معنى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} أفمن هو حافظ على كل نفس لا يغفل ولا يمل، فالمعنى: الحافظ لهما ومن فيهن [(٤)].

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ٦٨).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٨).

(٣) مصابيح الجامع (٣/ ١٢٣).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ١٧).

(أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال العيني: خصهما بِالذكر لِأَنَّهُمَا من أعظم المشاهدات، وَمعنى: الرب فِي اللُّغَة يُطلق على الْمَالِك وَالسَّيِّد وَالْمُدبر والمربي والمتمم والمنعم وَلَا يُطلق غير مُضَاف إلاَّ على الله تَعَالَى، وَإِذا أطلق على غَيره أضيف فَيُقَال: رب كَذَا [1].

(أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: المتصرف فيهما تصرفًا كليًا، ظاهرًا وباطنًا، فهو الملك والمالك على الحقيقة.

(أَنْتَ الحَقُّ) الحق اسم من أسماء الله – تعالى، وصفة من صفاته، قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَقُّ فِي أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعْنَاهُ: الْمُتَحَقِّقُ وُجُودُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحَّ وُجُودُهُ وَتَحَقَّقَ فَهُوَ حَقٌّ، وَمِنْهُ الْحَاقَّةُ أَيِ الْكَائِنَةُ حَقًّا بِغَيْرِ شَكٍّ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، أَيْ: كُلُّهُ مُتَحَقِّقٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: خَبَرُكَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَقِيلَ: أَنْتَ صَاحِبُ الْحَقِّ، وَقِيلَ: مُحِقُّ الْحَقِّ، وَقِيلَ: الْإِلَهُ الْحَقُّ دُونَ مَا يَقُولُهُ الْمُلْحِدُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} [2].

(وَوَعْدُكَ الْحَقُّ) أي: الثابت الصادق لا يمكن التخلف فيه؛ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. فكل ما وعدت به في كتابك، وعلى ألسنة رسلك، واقع لا شك ولا مرية في ذلك، قال تعالى {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [3].

(وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ) أي: واقع كائن لا محالة، وهذا فيه الإقرار بالبعث بعد الموت.

(وَقَوْلُكَ الْحَقُّ): أي لا مرية في صدقه: {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [4] قال ابن بطال: يعني قولك الصدق والعدل.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٣٠٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).

(٣) [يونس: ٥٥]، [الروم: ٦٠]، [لقمان: ٣٣]، [فاطر: ٥]، [غافر: ٥٥]، [غافر: ٧٧]، [الجاثية: ٣٢]، [الأحقاف: ١٧].

(٤) [الأحزاب: ٤].

(وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ) وهذا فيه الإقرار بالجنة والنار، وأهما مخلوقتان وموجودتان الآن. كما أخبر الله عز وجل بذلك، أهما معدَّتان لأهلهما، فهما دار البقاء، وإليهما مصير العباد. فقال عن الجنة {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وقال عن النار {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} فاللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بوجهك من النار ... آمين [1].

(وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ) أي: حق في أهم من عند الله – تعالى – وأهم أنبياء الله تعالى ورسله وعبيده. وأهم جميعًا صادقون، وبالوحي مؤيدون، وأهم بلَّغوا أمر الله وشرعه على أكمل وجه، فلم يكتموا، أو يغيروا، وأهم اتفقوا جميعًا على الدعوة إلى التوحيد: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

(وَمحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَقٌّ) أي: حق في نبوته ورسالته، وأنه عبد الله ورسوله إلى العرب والعجم [والإنس والجن، ولا نبي بعده]، وإنما أفرد نفسه بالذكر، وإن كان داخلاً في النبيين، تنبيهًا على شرفه وفضله.

قال العيني: إِنَّمَا خصَّ مُحَمَّدًا من النَّبِيِّينَ، وَإِن كَانَ دَاخِلا فيهم، وَعطفه عَلَيْهِم إيذَانًا بالتَّغَايُرِ، وَأَنه فائق عَلَيْهِم بِأَوْصَافٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِ، [فَإِنَّ تَغَايُرَ الْوَصْفِ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ تَغَايُرِ الذَّاتِ، ثُمَّ تَجَرَّدَ عَنْ ذَاتِهِ كَأَنَّهُ غَيْرُهُ]، فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْإِيمَان بِهِ وَتَصْدِيقُهُ، وَهَذَا مُبَالَغَة فِي إِثْبَات نبوته، كَمَا فِي التَّشَهُّدِ [2].

(وَالسَّاعَةُ حَقٌّ) أي: واقعة كائنة لا محالة، والمراد من الساعة هو يوم القيامة والحشر والنشر.

(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمتُ) أي: استسلمت وانقدتُ وخضعت لحكمك وأطعت لأمرك وهيك.

(وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ) أي: فوَّضت أمري إليك، واعتمدتُ في كل شأني عليك.

(وَبِكَ آمَنْتُ) أي: صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت وهيت. وفيه إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام.

الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان (١/ ١٧٩) بتصرف.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٦٧)، ونقله الملا علي القاري: عن ميرك وانظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٥).

(وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ) أي: تبت ورجعت وأقبلت بهمتي وطاعتي إليك، وأعرضت عما سواك.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنبت: الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة»

(وَبِكَ خاصَمْتُ) قال أبو العباس القرطبي: أي: بإعانتك وتعليمك، وبكلامك جادلت المخالفين فيك حتى خصمتهم [(١)]. وقال النووي: أَيْ: بِمَا أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْقُوَّةِ خَاصَمْتُ مَنْ عَانَدَ فِيكَ وَكَفَرَ بِكَ وَقَمَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ وَبِالسَّيْفِ [(٢)].

(وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ) أَيْ: كُلَّ مَنْ جَحَدَ الْحَقَّ حَاكَمْتُهُ إِلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ الْحَاكِمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَا غَيْرُكَ مِمَّا كَانَتْ تَحَاكَمُ إِلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ صَنَمٍ وَكَاهِنٍ وَنَارٍ وشيطان وغيرها، فلا أرضى إلا بحكمك، وَلَا أَعْتَمِدُ غَيْرَهُ [(٣)].

(فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ) قبل هذا الوقت (وَمَا أَخَّرْتُ) عنه، أي: من الذنوب.

(وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ) أي: ما أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني من المعاصي والذنوب.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) يحْتَمل وَجْهَيْن: أَحدهمَا: مَا قد نَسِيته من الزلل. وَالثَّانِي: مَا هُوَ خطأ عنْدك وَأَنا لَا أعلم أَنه خطأ [(٤)].

- ومعلوم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مغفور له ومعصوم عن الذنوب؛

فيكون هذا تواضعًا منه وهضمًا لنفسه، ويجوز أن يكون تعليمًا لأمته، وإرشادًا إلى طريق الدعاء؛ لأنهم غير معصومين ومبتلون بالذنوب، والتقصير في الطاعة.

(أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) أي: المنزل الأشياء منازلها، تقدم ما شئت من مخلوقاتك وتؤخر، وتقدم مَنْ شئت مِنْ عبادك بتوفيقك، وتؤخر مَنْ شئت بخذلانه [(٥)].

والأولى: أنه تعالى مُقَدِّمُ كُلَّ مقدَّم في الدنيا والآخرة، وَمُؤَخِّرُ كُلَّ مُؤَخَّرٍ في الدنيا والآخرة[(٦)].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٣٦).

(٥) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١١).

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٨).

(**أَنْتَ إِلَهِي**، **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**) أي: أنت معبودي لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك. (**وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**).وهذا فيه (إشارة إلى أنه لا توجد قابضة حركة ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمر الله التابع لمشيئته: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

والحمد لله رب العالمين.